

تعيش فيه الفتاة ، فإن القمر وهو آية الحسن النسوى ، يعيش في الظلام أيضاً وإن كان يصنع الضوء للآخرين . وحين يختار الشاعر إضافة صوتية للصورة - الحركة ، فإنه يختار الريح ، وهي ليست ريحاً إلا بالحركة ، ولكنها جاءت لمعنى الأنين وصوته ، وحين يضع « الفجر » في بؤرة الصورة فاصلاً بين الظلام والنور فإن نوره كله ينسكب على « عيون النرجس الغصن » والعيون النرجسية ، صورة عربية تعرفها قصائد الغزل منذ كانت وإلى اليوم ، ثم يمضى الشاعر مع « مادة » العيون ، فيبكي ليس للفتاة ، وإنما لزهرة تبكي ، وبكاؤها لا يتحول إلى دموع ، إنه يتحول إلى أنين ، سبقت به الريح ، فالفتاة موسيقية ، تسكب دموعها في ألحانها . هنا عالم مغم بالحياة ، مستمك من طبيعة الكون : أشيائه وظواهره ، قد توحد في مشتقات يمكن أن ترد إلى أصل واحد بغير تحل ، وهو أصل حيّ مشاهد ومدرك ، بالخيال الموحد بين العناصر والفكر المتغلغل فيها جميعاً ، وهذه أهم ملامح الأسلوب الفنّي^(٩) . ولكن هل إذا وضعت هذه الصور نفسها في سياق عبارة نثرية ، سيكون لها نفس القدرة الإيحائية ؟ ليس من شك في أن الأمر سيختلف كثيراً جداً . وهنا علينا أن نتذكر أن الاختلاف الرئيسي بين اللغة في قصائد ، واللغة خارج القصائد أن إحداها بها قدر أكبر وأحكم من البناء مما في الأخرى ، وأن النظام الأكثر تعقيداً في القصائد يمنح الشاعر سيطرة بها يستغل الخصائص المتنوعة للغة بصفة عامة^(١٠) . وفي مثالنا الذي نعايش تلعب « إذا » الشرطية دوراً مزدوجاً ، فهي رابط عضوي بين طرفي جملة ، وتكرارها يعنى استمرار سلسلة الربط ، وكأن المشاهد المتابعة تمثل حلقات أو مشاهد صغيرة ضمن إطار ممتد ، وهي بتكرارها تحتفظ بتطلعاتنا معلقاً ، أي تمتد الحالة الشعورية التي يثيرها توقع الجواب (جواب الشرط) إلى أن تكون « بكيّت » جواباً عنها جميعاً ، فتتوحد الشوارد في الشعور الذي صنعه ، كما توحدت في دلالتها الفكرية . و« إذا » المكررة في صدر الأبيات ، تؤكد الجانب الإيقاعي ، ليس في امتداده فحسب ، بل في مستواه الصوتي حيث تكررت الكلمة عينها ، ولكنه التكرار غير الرتيب ، غير الممل ، لأن أداة الشرط لا تستقل بمعنى ، وينبغي أن يتبعها متعلق ، وقد تغير معنى المتعلق كل مرة . ويتأكد الجانب الإيقاعي باختيار بحر قليل التفاعيل (مفاعلين مفاعلين =

(٩) راجع بعض الأمثلة وتحليلها في :

Middleton Murry: The Problem of Style. P. 74-77.

The Language Poets Use. P. 74.

(١٠)